

استغلال الإجازات في فعل الخيرات

خالد بن ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ:

مَنْ تَدَبَّرَ مُرُورَ الْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ، وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا وَكَانَتْهَا لَحْظَاتٍ، عَلِمَ أَنَّهُ كُلَّمَا انْقَضَى مِنْهَا شَيْءٌ اقْتَرَبَ الْعَبْدُ إِلَى أَجَلِهِ وَأَزِفَتْ سَاعَتُهُ وَنَقَصَ عُمُرُهُ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ مَجْزِيٌّ عَلَى مَا آدَاهُ فِيهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، وَمُؤَاخَذٍ عَلَى اقْتِرَافِهِ لِلْسَيِّئَاتِ، قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: (مَا ظَنَنْكَ بِرَجُلٍ يَرْتَجِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّحَلَةً إِلَى الْآخِرَةِ؟). وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ، كُلَّمَا مَضَى يَوْمٌ مَضَى بَعْضُكَ)، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَقْسَمَ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ الدَّهْرُ بَيَّنَّ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا فِي خَسَارَةٍ: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، فَالسَّعِيدُ مَنْ اكْتَسَبَ تِلْكَ الْأَوْقَاتَ فِي الطَّاعَاتِ، وَاعْتَنَمَهَا فِي الْقُرْبَاتِ، وَلَمْ يَفْرُطْ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالخَاسِرُ الْمَغْبُونُ مَنْ ضَيَّعَ عُمُرَهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ، وَفَاتَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ، حَتَّى إِذَا حَانَ أَجَلُهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَّطَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وَقَدْ أَمَرَنَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ بِطَاعَتِهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ، فَقَالَ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ بَيَّنَّ نَبِينَا ﷺ أَهْمِيَّةَ الْوَقْتِ لِلْمُسْلِمِ، وَحَثَّ عَلَى اسْتِغْلَالِهِ وَاعْتِنَائِهِ، وَحَذَرَ مِنَ التَّفْرِيطِ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» [رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ]، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْعِبَادَ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا أَفْنَوْا فِيهِ أَعْمَارَهُمْ وَقَضَوْا فِيهِ أَوْقَاتَهُمْ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ

عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ؟» [رواه الترمذِيُّ وَحَسَنَهُ الألبانيُّ].

عِبَادَ اللهِ:

مِنْ عَظِيمِ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْزُقَهُ السَّعَةَ فِي الأَوْقَاتِ، وَقِلَّةَ المَشَاغِلِ وَالمُلْهِيَاتِ، مَعَ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، وَإِذَا أَعْطَى اللهُ الْعَبْدَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ فَاسْتَغْلَهُمَا فِي الخَيْرِ، فَهُوَ المُفْلِحُ الرَّابِحُ، وَمَنْ فَرَطَ فِيهَا فَهُوَ المَغْبُونُ الخَاسِرُ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفِرَاقُ» [رواه البُخاريُّ]، فَالمُؤْمِنُ يَتَّقَلَّبُ فِي الطَّاعَاتِ أَيْنَمَا كَانَ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، فَاسْتَغْلُوا الأَوْقَاتِ -عِبَادَ اللهِ- خُصُوصًا فِي الإِجَازَاتِ بَيْنَ قِرَاءَةِ لِقُرْآنٍ، وَتَعَلُّمِ لِمَا هُوَ مُفِيدٌ، وَجُلُوسِ مَعَ الأَوْلَادِ وَأَهْلِ البَيْتِ لِمُدَارَسَةِ التَّوْحِيدِ وَتَعَلُّمِ أَحْكَامِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَحْتَاجُهُ المُسْلِمُ، فَلا تُفَرِّطُوا فِي النِّعَمِ فَإِنَّكُمْ مُحَاسِبُونَ وَمَسْئُولُونَ، يَقُولُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِضَاعَةُ الوَقْتِ أَشَدُّ مِنَ المَوْتِ؛ لِأَنَّ إِضَاعَةَ الوَقْتِ تَقْطَعُكَ عَنِ اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَالمَوْتُ يَقْطَعُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لا تُساوِي غَمَّ سَاعَةٍ، فَكَيْفَ بَغَمِّ العُمُرِ، مُحَبُّوبُ اليَوْمِ يَعْقُبُ المَكْرُوهَ غَدًا، وَمَكْرُوهُ اليَوْمِ يَعْقُبُ المَحَبُّوبَ غَدًا، أَعْظَمُ الرِّبْحِ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَشْغَلَ نَفْسَكَ كُلَّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهَا وَأَنْفَعُ لَهَا فِي مَعَادِهَا».

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ -عِبَادَ اللهِ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ؛ فَمَنْ اتَّقَى اللهُ وَفَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ حَالَ المُؤْمِنِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَالغَرِيبِ المُسَافِرِ وَعَابِرِ السَّبِيلِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارُ مَمَرٍ، وَكَيْسَتْ بِدَارِ مُسْتَقَرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَتَنظَّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَتَنظَّرِ

الْمَسَاءِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]. وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَالِهِ مَعَ الدُّنْيَا بِمَثَلٍ عَظِيمٍ فَقَالَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَابٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ].

فَأَحْسِنُوا عِبَادَ اللَّهِ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ، وَلَا تُحَقِّرُوا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَقَدْ يَكُونُ فِيهِ نَجَاتُكُمْ، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ؟ قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً، قَالَ: فَأَنْتَ مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ يُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَقَالَ الْفُضَيْلُ: أَتَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ؟ تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ وَإِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَبْدٌ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، فَلْيَعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُحَسِّنُ فِيمَا بَقِيَ، يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ، أَخَذْتَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ.